# الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
# رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد

## التكنولوجيا المعاصرة
## وعقولنا المستقبلية

جاء في تحقيق صحفي في احدى المجلات الأوروبية أن بلدا افريقيا أقدم على شراء مصنع للغزل والنسيج من أحدث ما حققته التكنولوجيا المعاصرة، لكن المسؤولين لم يلبثوا بعد أن وضعوا الآلات في الأماكن المخصصة لها أن شعروا بالحاجة الماسة إلى خبراء يستوردونهم من الخارج للإشراف على هذا المصنع من الناحيتين الإدارية والتقنية. ولما كانت رواتب هؤلاء الخبراء أكبر وأعلى من أن يتحملها دخل المصنع ، فقد احتاج ولا يزال إلى تدعيم الحكومة له. وبدلا أن يكون خطوة في تدعيم الاقتصاد الوطني أصبح عبئا على هذا الاقتصاد بالذات.

********

هذا الخبر نقلناه عن المجلة الأجنبية لأنه أثار في نفوسنا سلسلة لا تكاد تنتهي من التأملات ، وسلط الضوء على كثير من الوقائع التي تواجهنا في كل يوم باعتبارنا من الشعوب النامية في عالمنا الحضاري بغض النظر عن الأموال التي توفرها الحقول البترولية.

أي أن المشكلة التي تعاني منها دول افريقية واسيوية بشأن العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا، والتي تشكل عبئا ثقيلا على الكثرة الساحقة من هذه الدول بسبب من افتقارها إلى السيولة التي تعوض بها عن الخسارة. هذه المشكلة هي نفسها التي يفترض في شعوب الشرق الأوسط بعامة وبلدان الخليج والجزيرة العربية بخاصة أن تعاني منها وأن تواجه الصعوبات باستثناء الشعوب التي تتمتع بحقول النفط.

فنحن نشهد باستمرار أن الحكومات تتدخل في بلدان النفط لتدعيم المؤسسات الاقتصادية والصناعية وتنفق أضعاف ما تنفقه الدول غير النفضية في ميادين الخدمات والمرافق العامة. ولا عجب في ذلك فإن قضيتنا هنا كقضية كل شعب عربي هي قضية العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا أو هي قضية التوازن الحضاري المطلوب.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا: info@RamadanLawand.com

**********

أول ما يلفت النظر في تاريخ الأمم ذات الحضارات المتقدمة ، أن الإنسان فيها هو رأس المال الكبير.

إن كفاءته الثقافي ووعيه الخلقي والتزامه لقيم الحضارة وادراكه لمفهومات الإدارة والتنظيم هي التي تشكل حجر الزاوية في بناء المجتمع.

ولذلك فقد لاحظنا ونحن نتابع تاريخ الأمم التحضرة بأن المكاسب التي حققتها هذه الأمم هي حصيلة ما نطلق عليه اسم مبدأ " مبدا التجربة والخطأ ".

هذه المكاسب صنعتها مسيرة الأمة بكل ما يتمثل فيهل من نجاح وفشل...وأرباح وخسائر... وأساليب صحيحة في العمل او غير صحيحة....

إن كل مكسب من هذه المكاسب قد رافقته ومهدت له تحويلات اجتماعية وثقافية لا تخلو من معالم المأساة في كثير من الأوقات.... وبذلك تساقطت في طريقها اعداد لا تحصى من الضحايا... وارتفعت فوق سطوح الأحداث أعداد كثيرة من عناصر التقدم.

إن في وسعنا القول: بأن الأمم المتقدمة والتي تولت صنع حضارات منتصرة سيطرت على مقدرات العالم قد دفعت ثمن طموحها كثيرا من الدماء، وتميزت معه بالكثير من الجد والوعي وإرادة التقدم. فكانت التكنولوجيا هي بعض ما حققه انسان هذه الأمم من الإنتصارات لا العكس.

*******

وخلاصة القول أن الإنسان هو الذي جعل منه وسيلة لتحقيق مآربه وأمل أن يجعل منه وسيلة للفوز بسعادته . وبالقدر الذي يدرك به الدور الحقيقي للتكنولوجيا وبتعرف إلى امكاناتها في تغيير صورة الحياة وصنع الحضارة، بهذا القدر نفسه يتغلب على المتاعب التي تواجه والأزمات التي تنفجر في وجهة.

ولو حاولنا أن نصنف الأولويات في صنع الحضارات البشرية لتبين لنا أن الجانب الإنساني البحث هو الذي يجب أن يوضع على رأس هذه الأولويات.

********

والجانب الإنساني يمكن أن يخلص في كلمتين اثنين هما جانب البطولة المبدعة أو الإبداع البطولي.

إن البطولة بمعناها الشامل وهي التي تعني انتصار النظام على الفوضى، والقوة على الضعف، والمعرفة على الجهل، والحزم على الميوعة، والالتزام برسالة وقيم عليا دون الركض وراء الشهوات الفردية والأنانيات الخالصة ، هذه البطولة بالإضافة إلى ما تعنيه من الاستعداد للتضحية وبذل الجهد ومواجهة التحديات والصمود أمام النكبات والوعي المنجي لأساليب العمل والسلوك، هي وحدها التي تعطي الحضارة مبرر وجودها... وهي وحدها التي تفسر استمرار المجتمع وتجدد ظاهرة الازدهار في ناسه وفي مؤسساته.

*********

ومن المآسي التي يعاني منها المجتمع المختلف خطة اللجوء إلى المظاهر والإغراق في الأخذ بأساليب التقليد وتزوير كل شي في الحياة الخاصة والعامة.

هذه المأساة تأتي في مقدمة المآسي وهي التي تفسر هزال المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية أمام أول صدمة جادة.

إن انسان في هذه المأساة هو ذاك الذي يحاول أن يشتري كل شئ بالمال وحسب.

إنه يشتري المدينة ببناء القصور والحصول على أحدث أنواع الأثاث والخدمات التقنية المنزلية.

وهو لا يبالي أن ينفق نصف ثروته من أجل الحفاظ على هذه المظاهر.

وهو يشتري حضارة التكنولوجيا باستيراد أحدث الأجهزة التقنية دون أن يهتم بالعمل على صنعها أو التمهيد لبلوغ مرحلة الصناعة فيها.

وهو يشتري الثقافة بالحصول على الشهادات بأي ثمن وبأي طريق باستثناء الجد والاجتهاد والسهر المتعب الطويل.

وهو يشتري أشياء التقدم والتحرر بتقليد من يعتقد أنهم متقدمون عليه فيستورد عاداتهم وتقاليدهم وينظم وبدقة علاقاته الاجتماعية على طريقتهم ويقبل على تراثهم الفكري ويتعصب لكل ما يجده عندهم وبينهم غير عادي.

ويبقى في أعماق نفسه غيبة عن هذه الحضارة المستوردة لأنه لا يملك الجرأة في الفكر والشجاعة في القلب والقوة في الإرادة والوضوح في الوعي بما يسمح له بالسيطرة التامة على أشياء هذه الحضارة.

*******

كنا في مجلس نتدارس فيه شؤوننا وشؤون الناس ونقلب الوجوه في أوضاعنا العامة.. ومما لفت نظرنا أن سياسة التخطيط للمستقبل في بلد كالكويت تتناول الجوانب العمرانية ابتداء من الشارع والطريق الدولي حتى بناء المنازل كما نتاول المرافق والخدمات العامة.

وجوهر هذه السياسة هو الإحصاء وبتعبير آخر هو الجانب الكلي. لكن السياسة التخطيطية لا تزال متعثرة جدا في ميدان النوعية، وبالتالي الفعالية التي يمكن أن تتميز بها الأعداد التي يجري احصاؤها من الأطباء والمهندسين والعلماء والإداريين والمدرسيين والعمال والعلاقات الخلقية التي تشد بعضهم على بعض. نعم إن السياسة التخطيطية في البلاد بغض النظر عن الدوافع المعلنة لوضع سياسة للتخطيط المستقبلي لا تزال تتحاور مع الإنسان كما تتحاور مع آلات المصنع وتجهيزات المدارس والمستشفيات وأشياء التكنولوجيا الحديثة... ولعل هذا الإهتمام بنوعية هذه الأشياء أكثر ظهورا من الإهتمام العملي بنوعية الإنسان الذي تتحاور معه.

*******

ونحن لا نعجب لهذ الظاهرة ذلك لأن حضارة التكنولوجيا لا تزال تثير في نفوسنا ما يحدثه السحر في الناس، هي وحدها التي تشد أنظارنا. كأن هناك نوعا من الحماسة الهسترية لأشياء في الوقت الذي نتجاهل فيه النوعية الإنسانية الجديدة التي يحتاج إليها مجتمع المستقبل.

فإذا قلنا لأنصار الجانب الكلي من المخططين لمستقبل هذا الوطن : إن المعضلة في بناء المستقبل هي معضلة الإنسان، لم نجد أمامنا غير الصمت أو الزوغان، وهذا شيئ طبيعي عند أناس يخافون مسؤولية التغيير في عقل المواطن وقلبه وطريقة تصرفه وفي عاداته وتقاليده.

الجميع يهربون من مواجهة الوقائع الخاصة بفعالية العقل ونوعية الأخلاق وطبيعة القيم التي يعمل بها في البلاد. ذلك لأن مواجهتها مسؤولية ثقيلة تعرض على اصحابها أن تكون لهم الصفات البطولية التي تحدثنا عنها في فقرات سابقة.

******

عزيزي القارئ

هل تعلم أن نجاحك كرب أسرة في تعويد أبنائك على الصدق والاستقامة واحترام المسؤولية الملقاة على عواتقهم هو أخطر خطرا وأعظم في صنع المستقبل من الحصول على مصنع؟

وهل تعلم أن نجاحك كمدرس في تعميق الولاء عند طلابك نحو لغتهم القومية وتراثهم التاريخي هو أعظم شانا في تقرير المستقبل من بناء مجموعة من ناطحات السحاب؟

وهل تعلم أن نجاحك كمدرب في تنمية روح التحدي والاستعداد للاستجابة العنيفة للأزمات والانتصار على روح الميوعة والاستهتار هو أعظم خطرا في صنع الازدهار من فتح الطرق الدولية على أهميتها؟

وهل تعلم أن نجاحك كمفكر في تحرير المواطنين من الكسل العقلي والاستسلام لعقول الأجداد استسلاما يلغي عقولهم هو خير ما تقدمه للأجيال الطالعة!

أوليس مما يدعو إلى الأسف والحزن أن ابن خلون أثبت في علم عمرانه بأن بداية النهضة الحقيقية مرتبطة بوجود جيل شديد على نفسه صلب في أخلاقه وثيق الاتصال بعقيدته؟ هل تعلم أن ابن خلدون هذا قد قرأه ويقرؤه عشرات الألوف من فتياننا ومن فتياتنا لكنهم في الوقت نفسه لم يخطر لهم أن يتخلقوا بأخلاق هذا الجيل؟

أوليس مما يحزن حقا أن يتميز عصرنا هذا بالفقر الثقافي والغربة عن اللغة والاستهتار بالقيم والركض وراء الألقاب والهجرة إلى دنيا يصيبها صاحب هذه الألقاب دون جدارة علمية أو كفاءة خلقية؟

أوليس مما يدعو إلى الاستغراب ونحن نستمتع في العصر الحالي بتحولات المادية أن لا نستمتع أيضا بتحولات مثلها في العقل والقلب والذوق والخلق؟

وما عساها تكون الأمية في الفكر إن لم تكن في هذا النحو من التقصير؟

إن لله سننا وقوانيين لا تتحول ولا تتبدل...وفي مقدمة هذه السنن والقوانين أن تبتدئ مسيرتنا نحو المستقبل بجيل من الرجال والنساء يتصرف بروح السيادة وأخلاق البطولة والإيمان بالحرية، لا حرية الانصياع للغرائز والشهوات والركض وراء دنيا هذه

وتلك، بل بحرية التغلب على عقدة الشعور بالدونية أمام ما يأتينا من الخارج وحرية الاستقلال والكرامة والاعتزاز بروح الأمة ودينها والجرأة على بناء مجتمع المستقبل بعقول تفكر مستقلة عن عقول القدماء والغرباء.